ورقة ثقافية ١٠

محمد جلال كشك

أولاد حارتنا

فيها قولان

الزهراء للإعلام العربي

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

الزهراء للإعلام العربي
قسم النشر

ص.ب ١٠٢٠ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ راائف يوإن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

«ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين»

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الجمع التصويرى والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربى

تصميم الغلاف والإخراج الفنى : عصمت داوستاشى

محمد جلال كشك

أولاد حارتنا

فيها قولان

الزهراء للإعلام العربي



لا أظن أن أحدا من الفائزين بجائزة « نوبل » على كثرتهم ، قد أصابه من النكد والعنت من قومه ومواطنيه ، ما أصاب كاتبنا الكبير « نجيب محفوظ » .. فحتي في الدول الشيوعية ، تنفرد السلطة باضطهاد الفائز على غير هواها .. إلا عندنا فقد تحالف اليسار واليمين على ارهاق الرجل وتنغيص عيشه وافساد فرحته ، وفرحة الناس به .. حتى قيل إن فوزه كان مفاجأة لأمة تعودت الخيبة والفشل ، حتى أصبحت تستريب في النجاح ، وتفزع من التفوق ، وتحرص على أن يكون الموهوب خارج دائرة أهل الثقة .. بل ترى الكفاءة والثقة متوازيين لا يلتقيان ، الناجح فيها لابد أن يكون عميلا أو على الأقل مشبوها ، وهو بالتأكيد ، نجح لأنه باع نفسه للشيطان فأصبح جزءا من مؤامرة عالمية ضد أمة :

« يا بخت من بات مغلوب ولا بات غالب .. » لأن المؤمن الذي عرفه الرسول بأنه كيّس فطن تحول على يد المتخلفين إلى كيس قطن ! ! والأبله فيه شيء لله ، والوطني هو كل على مولاه ووطنه أينما وجهه لا يأتى بخير .. أليس أقوى دليل عندهم على ثورية حادثة ٢٣ يوليو ، هو هزائمها ؟ ! ألم تهزم كل الثورات .. ؟ ! .. ألم نقرأ لكاتب شهير ـ بعد أن تلقى الدفع الثوري في ليبيا ـ تحليلا لانتصار اكتوبر أكد فيه أن الحرب والنصر مؤامرة متفق عليها بين السادات وأمريكا وإسرائيل .. وصدق البعض أن إسرائيل تآمرت لكي يُقتل من اليهود أكبر رقم منذ الحرب العالمية الثانية ، لكي تجر مصر جراً إلى الصلح ، لأن إسرائيل كانت تموت شوقا لمصالحة العرب والانسحاب من الأراضي التي جرعها إياها النظام الناصري الثورى كرها .. !

أصبح الفشل هو أسلوب حياتنا المتعارف عليه ، فلما فوجئت أمتنا بأن واحدا من بنيها .. مصريا عربيا مسلما قد فاز بأكبر جائزة للأدب اضطرب ناموسها واختلت معاييرها ، وتفجرت فيها كل عناصر التخلف وخصائصه .. ومن قديم الزمان قال المثل المصري :

« جه للعُمي ولد ففقئوا عينه من كتر التحسيس » (أي رزق العُمي طفلا مبصرا ففقأوا عينيه من كثرة اللمس المتشكك) .. وفي مدينة المجانين اضطر العاقل الوحيد للشرب من نهر الجنون لكي يفهمهم ويفهموه بل لكي يقبلوه بينهم « في الصف » ويكفوا عن اضطهاده .. وأقزام ليليبوت شدوا وثاق جليفر لأنهم رأوا في قامته السوية شذوذا وخروجا على العرف والمألوف واستفزازا لا يمكن السكوت عليه .. وتعطيلا للمسيرة وإجحافا بقاعدة المساواة وتهديدا للمكاسب القزمية ! !

وذلك خلق المتخلفين ..

والتخلف – كما قلنا أكثر من مرة – هو ظاهرة حضارية تخضع الأمة كلها لمسلكية واحدة ، بطبقاتها الحاكمة والمحكومة .. اليمين واليسار .. من في السلطة ومن يعادي هذه السلطة .. الكاهن والمومس معا ، الكل يتصرف على نحو متخلف الأداء متخلف التعبير .. فهي أمة متخلفة في هزائمها ، وفي انتصاراتها ، في افراحها وأحزانها .. في غضبها ورضاها ، في عداواتها وصداقاتها .. وقد عبرت أمتنا عن تخلفها الأصيل والدائم

في تعاملها مع الحدث العارض والشاذ .. وهو فوز مواطن بموقع على القمة العالمية ..

رأينا شعرورا [١] لا يحلم بالفوز بجائزة « علي عنتر » يربت في أستاذية على ظهر نابغة الأمة ويقترح عليه ما يجب أن يقوله في خطاب تسلم الجائزة !

ورأينا أديبا لاشك في موهبته ، ولا شك أيضا في أنه أساء استخدام هذه الموهبة وبدد الكثير من عطائها في اللهاث خلف شهوات الدنيا الزائلة ، رأيناه يتفجر حقدا وصغارا لأن الجائزة « الامبريالية الصهيونية » قد تخطته وفاز بها أديبنا الكبير .. بل ضاعف من حقده أن الفائز من مواطنيه .. [٢] !

---

١ والشكر واجب للأستاذ الكبير كمال النجمي أصفهاني العصر الذي شرح الفرق بين الشويعر والشعرور فبين أن الثاني أسوأ

٢ والمؤلم حقا .. انه لم يجد في الجائزة إلا الأموال .. وتأسف أو نقول تعزى بأن غريمه نال الجائزة وهو عجوز « فهو الآن لا يستطيع أن يسافر أو يستمتع بالأموال التي منحت له ... » ! !

وهكذا يفعل المتخلفون ..

ولنترك جانبا الذين استنزفوا الرجل ترحيباً واحتفاء وتكريما .. ولكن « لذاتهم » ومزاحمة له في دائرة الضوء ! ولعل أنكى ما أصاب الرجل أنه كُرم عالميا قبل أن تكرمه حكومته بل كان بعض العرب يقاطعون أدبه ورواياته اعتزازا بتخلفهم .. وقد روى لى محام كبير من حماة الحريات ، أنه ذهل عندما زاره في مكتبه جماعة ما يطلبون رفع دعوى ضد الحكومة لإلغاء قرار تكريم نجيب محفوظ .. ورفض الأستاذ الكبير بالطبع ..

وفي مناحة التخلف التي أقامتها ندابات الفكر العربي قيلت كلمات « حق » ولكن – كالعادة – أريد بها أسوأ الباطل .. منها النقد الموجه للجائزة والمشرفين عليها وما قيل عن تحيز عدد من قراراتها ..

والمعروف أن الذي أنشأ الجائزة ورصد الأموال لها أرادها تكفيرا عما ربحه بقتل البشر ، ولا شك أنه ساهم بمكتشفاته في قهر واستعباد شعوب العالم الثالث ، ولكن هذه البداية لم تمنع الجائزة من أن تصبح عالمية تتطلع إليها الأبصار ، ولا نفى أنها ساهمت في تقدم المعرفة وتخفيف آلام الإنسان .

وصحيح أن الجائزة بدأت منحازة ، بحكم انتماء وثقافة المشرفين عليها ، فهي إفراز الحضارة المسيحية الغربية البيضاء ، ومن الطبيعي أن تحمل بصمات هذه الحضارة وتعكس مواقفها .. يضاف إلى ذلك أنها كمعظم المؤسسات العالمية تعرضت منذ مطلع هذا القرن للنفوذ الصهيوني .. وقد كان هذا التعرض عاما وشاملا ظهرت آثاره في المؤسسات اليسارية ، واليمينية ، السياسية والثقافية والفنية .. فرأينا الاتحاد السوفيتي يسابق أمريكا في الاعتراف بإسرائيل رغم كل ما كتب وقيل علي لسان الماركسيين في تعريف القومية وضد الحركة الصهيونية بالذات ، وكذلك الانحياز الفاضح لإسرائيل من جانب البيت الأبيض والكونجرس على الجانب الآخر في قيادة المعسكر الرأسمالي .. بل حتى الفاتيكان أشد المؤسسات عداوة لليهود لم يستطع مقاومة تأثير هذا النفوذ ، فاضطر إلى تعديل العقيدة الكاثوليكية ، بما ينفي عنه تهمة عداء السامية تلك التهمة التي شكلت وقتها أكبر ابتزاز عرفه التاريخ والتي أصبحت تعني فقط أية معارضة لإسرائيل .. فأصدر الفاتيكان قرار تبرئتهم من دم المسيح ووقف لعنهم في الصلوات .

وما كانت لجنة جائزة نوبل بالتي تنجو وحدها من تأثير هذا النفوذ .. وبالفعل أعطيت الجائزة وحجبت في تلك الفترة بسبب من هذا النفوذ في بعض الحالات المشهورة والتي استُنكرت في حينها ..

ثم دارت عجلة التاريخ ووقعت تطورات ساهمنا فيها نحن وإسرائيل بهزيمتنا وانتصارها في ١٩٦٧ ، وانجازنا وتقصيرها في ١٩٧٣ ، ومبادرة السادات للسلم الشامل واصرار إسرائيل على تقزيمها إلى صلح منفرد ، ثم بغزوها التتري البربري للبنان ، واتباعها سياسة الذراع الطويلة والعصا الغليظة والردع الامبريالي ، من العراق إلى تونس ، مع ممارستها الارهاب والاغتيالات .. وتآمرها مع أخس القوى عالميا (جنوب أفريقيا) وإقليميا (مذبحة صبرا وشاتيلا) وربما أهم من ذلك كله اتضاح حقيقة أن التهديد العربي لإسرائيل هو تهديد أجوف يفتقد ليس فقط للقدرة على تنفيذه بل وأساسا النية في تنفيذه ..

كل هذا أدي بالطبع إلى انحسار النفوذ الصهيوني وضيق القوى والمؤسسات العالمية بقحة وصفاقة هذا النفوذ ومتطلباته .. وها نحن نرى الأمم المتحدة التي أصدرت

شهادة ميلاد إسرائيل والتى كان تحيزها لإسرائيل ولامبالاتها بالحق العربي مبعث حنق الوفود العربية بل ويأس شعوبنا من العمل في المنظمات الدولية .. ها هي نفس المنظمة تتوالى إداناتها لإسرائيل والصهيونية ، إلى الحد الذي جعل الولايات المتحدة تضيق ذرعا بالمنظمة وتقاطعها ، بل لعلها تتمنى زوالها وهي التي رعتها وموّلتها ما يقرب من أربعين عاما .. وكما كان انتشار النفوذ الصهيوني ظاهرة عالمية شملت كل المؤسسات ، فقد حدث نفس الشيء بالنسبة لانحسار هذا النفوذ من الدوائر السياسية والثقافية اليمينية واليسارية ، الشرقية والغربية .. حتى في انتخابات الكونجرس ظهر رجال « يجرأون على القول »[١] حتي لو نكل بهم .. فالعالم يتطور ولكن المتخلفين مثل الحمار الذي أماته الله مائة عام وبعث حمارا لم يتغير .. وبالطبع يتوقع الحمار أن يجد العالم كما تركه قبل نومته !

من العسف إذن تقييم الجائزة الآن بمواقف اللجنة من عشرين عاما .. وفي النهاية فإن فوزنا بالجائزة ، يعد

---

١ اسم كتاب ظهر في أمريكا يتحدث عن الذين تجرأوا على مقاومة الابتزاز اليهودى

تقديرا مضاعفا ، لأن لجنتها إذا انحازت فهي تنحاز ضدنا وليس معنا ، فهي مثل غيرها من المؤسسات العالمية لا ترجونا ولا تخشانا .. وهذا ما عنيته في برقية التهنئة التي بعثت بها إلى أديبنا الكبير فور إعلان فوزه بالجائزة إذ قلت : « إن كان ثمة عنصر سياسي في الجائزة فهو الذي أخر حصولك عليها لعشرين عاما .. »

جائزة نوبل كانت ستخسر بعض مصداقيتها إذا لم تمنح لنجيب محفوظ فهو أكبر أديب عربي علي قيد الحياة وأكثرهم إبداعا .. وأهم من ذلك أنه والد الرواية العربية ، به ومعه اكتمل نضجها بالشكل الذي ظهر في الغرب وتعارفت عليه المقاييس الأدبية الغربية ، وبالتالي فرضته كصيغة فنية عالمية .. (وبالطبع فهذا لا يعني بالحتمية أن الرواية الحديثة هي الشكل الفني الأفضل ، ولا يرجحها على ما قدمت حضارتنا من صيغ أدبية ، مثل الحدوتة في ألف ليلة أو الملاحم مثل عنترة وسيف بن ذى يزن والأميرة ذات الهمة وسيرة أبو زيد الهلالى ، وكذلك مقامات الحريري والهمذاني ، والطرائف التي حرص رواتها على إثبات واقعيتها بنسبتها إلى أشخاص طبيعيين .. والذي حال دون ظهور

الرواية – في ظني – هو عزوف المثقف العربي عن الاختلاق أو اختراع الأحداث ونسبتها إلى أشخاص من نسج الخيال ، والعقلية الخاصة التي تكونت عند الجمهور من علم الحديث الذي يطلب السند المتصل .. وهذا مبحث طويل لا نملك له العدة ولا المدة .. وربما لو كانت حضارتنا لم تنتكس أو أنها بعثت مستقلة لتطورت الصيغ الفنية العربية الأصيلة تطورها الخاص ولربما أصبحت هي الصيغة العالمية ، ولكن لأن ذلك لم يحدث فقد بدأ تطلع كتابنا للرواية منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى ظفر بها نجيب .. وهنا تجب الإشادة بالجهود الرائعة التي سبقت نجيب محفوظ لانجاز هذا التطور ، حتى ولدت الرواية كاملة على يديه ، ولا ينتقص كمال رواية محفوظ من جهد الرواد الذين سبقوه إلا بقدر ما ينتقص كمال هرم خوفو من إنجاز زوسر ومهندسه العبقري امحوتب صانع أعجوبة هرم سقارة المدرج ..)

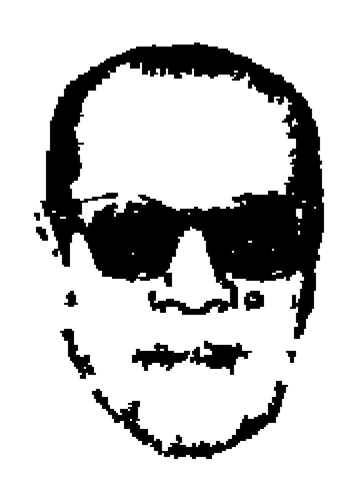
وإذا كان الشكل العالمي للرواية فرض نفسه على روايات نجيب محفوظ ، فإن محتوى هذه الروايات المصري العربي الإسلامي ، لا تخطئه العين البصيرة ولا الذوق السليم ..

وهذا ما أعطاه العالمية ، فالقول المعروف والذي يتردد إلى حد الابتذال والملل ، وهو أن زهور العالمية تتفتح وتتألق بقدر ما تضرب جذور الفن عميقا في أرض الواقع الخاص .. هذا الشعار تحقق عند نجيب محفوظ . فهو في رواياته مصري قح حتى وصف بأنه جبرتي العصر الذي سجل حياة المصريين في القرن العشرين وإن اختار الفن لا التاريخ ..

ولقد تركت روايات محفوظ بصماتها على الرواية العربية ، وكل الدلائل تشير إلى استمرار ذلك لعدة سنوات مقبلة .. وقد رأينا الجيل الأول والثاني بعد نجيب محفوظ ، الذين ولدوا فى مستشفيات مكيفة الهواء ، أو لم يروا القاهرة إلا بعدما عالجوا الكتابة ، رأيناهم يلهثون خلفه في حواري القاهرة المملوكية التي عايشها محفوظ والقرن ما زال صبيا في العاشرة من عمره . بل وتوجد طائفة من الكتاب ظهرت واشتهرت من خلال اشتغالها بأدب نجيب محفوظ نقدا وتفسيرا وإعدادا للمسرح والسينما والتليفزيون . ولا جدال في أن دخول روايات نجيب محفوظ للسينما المصرية هو الذي انقذها من هاوية محمد كامل حسن المحامي !

ومن هنا كان حصول عميد الرواية العربية على الجائزة هو القرار الذي لا انحياز فيه ولا شبهة ، بل القرار الذي يحفظ للجنة مصداقيتها .. فهو صاحبها ما دام الوقت قد حان لمنحها لمصري أو عربي أو مسلم في مجال الأدب .

هذا عن الجائزة ، وعن الذين نقبوا الأسوار سعيا لها وأراقوا ماء الوجه شوقا إليها فلما أعجزتهم صاحوا : « حصرم .. » مداراة لخيبتهم وكيدا للفائز وأملا في افساد الفرحة ولكن خاب فألهم ، وافتخر العرب بالجائزة ولو على مضض من بعض مثقفينا .



مؤامرة اليسار

أدبينا الكبير بينه وبين اليساريين ود مفقود لموقفهم من حرب أكتوبر ، عندما أطلقوا مقولة : هزيمة ١٩٦٧ أفضل وأشرف من نصر ١٩٧٣ .. فوصف أدبينا النوبلى قولهم هذا بوصف موجع سيطاردهم ما بقى لهم من ذكر .. وهو القائل .. إن الثورة لم تقدم للشعب تعليما مجانيا ، بل تجهيلا باهظ المصروفات ! .. وقبل ذلك كرهوا منه موقفه من الاستبداد الناصري ، ابتداء ، من رائعته الكرنك .. التي لو لم يكتبها ضمير الشعب وفنانه نجيب محفوظ ، لحمل الفن المصري عار الشيطان الأخرس .. وهم يبغضون منه النفس الإسلامي الذي يتضوع من أعماله ، ولأنه في أولاد حارتنا ـ كما فهموها ـ قد رجح دعوة قاسم والنظام الذي أقامه فقال عن قاسم : « .. **طراز من الرجال لم يوجد مثله من قبل ولن يوجد مثله من بعد .. جمع بين الرقة والحكمة والبساطة والمهابة والمحبة والسيادة والتواضع ، والنظارة والأمانة** » .. « .. **ومهما يكن من أمر فإن حارتنا لم تشعر قبله بالسيادة حقا ، وبأن أمرها قد آل إلى نفسها دون ناظر يستغل ، أو فتوة يستذل ولا عرفت قبله ما عرفت أيامه من الإخاء والمودة والسلام** » .

هذا ما صدقت عليه لجنة نوبل عندما منحت أديبنا الجائزة ، بل وزاد من حقد اليسار على الأديب الكبير أنه لم يقل ذلك في القاهرة من « أجل الشباك » بل في استكهلم عندما أصر على أن يشيد بجذوره الإسلامية ، وتأكيد انتمائه واعتزازه بهذه الجذور في خطابه الذي سمعه العالم كله من فوق منبر الجائزة عبر التكنولوجيا الغربية ، فكانت صفعة لآمال اليسار ، ومخططات الحاقدين والكائدين للإسلام . ولذلك سعت عناصر مجهولة المنشأ ، مشبوهة السلوك والمواقف ، مريبة الوصول .. سعت لضرب نجيب محفوظ بالإسلاميين وضرب الإسلام بنجيب محفوظ .. ! هرعت هذه العناصر تستخرج « اولاد حارتنا » وتقيم المناحة تحتها أو باسمها بهدف استفزاز وإحراجِ الجميع بما فيهم الدولة والمؤلف نفسه ..

ورغم أن أديبنا الكبير تنبه للمؤامرة ، فرفض غوايتهم الاستفزازية ، وقال إنه لا يريد أن يضيف إلى متاعب مصر بهذا النشر .. فإن هذه العناصر ضربت عرض الحائط بإرادة أديبنا الكبير وحقه المطلق فى نشر أو عدم نشر مؤلفاته .. وبدءوا فعلا نشر الرواية مسلسلة في صحف القطاع العام .. مما اضطر الأديب الكبير إلى

الاستعانة بالسلطة لوقف هذا النشر ، الذي يجري باسم حقه في التعبير ! ! ولم يتساءل أحد ماالفرق بين العدوان على حرية الفنان بمنعه من نشر مايريد من إنتاجه .. أو العدوان عليه بنشر مالا يريد من هذا الإنتاج رغم أنفه .. ؟ !

بل إن عبد السوء الذي خان سيده يفاجئنا بتصريح يقول فيه : إنه لا معني لجائزة نوبل إذا لم تنشر أولاد حارتنا في مصر ... ! هل نفهم من هذا أنه يقترح تجريد نجيب محفوظ من الجائزة ، باعتباره هو الذي يمنع نشرها وتدخل لوقف هذا النشر ؟ ! من أين تأتى هذه العناصر المريضة الفكر ، السقيمة المنطق ، الخبيثة المنطلق والهدف .. ؟ !

وجاءت حكاية « سلمان رشدي » تسعف المتآمرين .. فتفتق مكرهم عن خطة لتلويث محفوظ بدنس رشدي بإظهارهما وكأنهما وجهان لعملة واحدة هي في زعمهم حرية الفكر والمفكر ضد الارهاب الإسلامي ! !

وهكذا فوجىء الناس مبكرا جدا ، وقبل أن توجه كلمة نقد واحدة لنجيب محفوظ من قلم إسلامي أو منتسب للإسلام ، فاجأتنا روز اليوسف بمطالبة المسئولين في القاهرة بترجمة الأعمال الكاملة لسلمان رشدي وأيضا نشر رواية أولاد حارتنا .. في مقال واحد .. ! وهكذا جمعوا بين فناننا المبدع .. ابن حضارتنا البار وبين المسخ الهندي الذي فسق الغرب في شرفه قبل أن يفسق في فكره .. خلاسي .. حاقد على أصله وجلده ، متسول يتوسل لقبوله فى مخدع السيد الأبيض ولو من باب الخدم يحقد من الإسلام مبدأ الولد للفراش وللعاهر الحجر وقاعدة « ادعوهم لآبائهم » .. فهو هارب من آبائه ، كاره لهم محتقر لهم ، يريد أن يلحق بآباء الخنا الذين يلتصق بهم ، حتى ولو شهر على المنابر بشرف اسلافه وعرض قومه .. ورغم ذلك جمع الأوغاد والمتشنجون بين الشرف والدنس ، بين الفن والمهاترة .. بين محفوظ الخالد ورشدي المارق .. وسموا ذلك دفاعا عن حرية الفكر .. !

وقد كتبت وقتها كلمة فى مقدمة الطبعة الثانية من كتاب « الناصريون قادمون » أستنكر هذه الدناءة فى الحوار

والخسة فى المناورة .. وقلت:إنه لا وجه ، على الإطلاق للربط بين أولاد حارتنا وفسق الشيطان .. ولكن تبين أن الفتنة أبعد غورا واقبح عورة مما تصورنا ..

أعداء الإسلام يريدون فرز نجيب محفوظ من بين المسلمين ، وتأكيد أن حصوله على الجائزة هو بسبب **لا إسلاميته** ، ففي منطقهم ودعواهم أن المسلم متخلف بطبعه أو بحكم دينه ، ولا سبيل إلى تفوقه إلا إذا عادى الدين ، الدين الإسلامى بالذات ، وتخلص من التراث السيىء ، وأصبح « مستقبليا » يعيش ثقافة العصر .. ومن ثم لا يمكن لمن يرفض هذا « التحرر » ويتشبث بإسلامه أن يفوز بجائزة نوبل ، أكبر تقدير عالمى ، أحببنا ذلك أو كرهناه .. ولإثبات دعواهم لابد أن يخرجوا الفائز من الإسلام والمسلمين .. لابد أن يحولوا هذا التكريم الذي ناله المسلمون بفوز محفوظ إلى إدانة للمسلمين ، وحبذا – من وجهة نظرهم – لو نالت سهامهم الإسلام ذاته .. أقصى أمانيهم أن يريقوا دمه ويحمل وزره الإسلام والمسلمون أو أن يستفزوا الرجل للدخول في معركة مع من ينتسبون للإسلام .. فهم لا يدافعون عن الرجل ولا عن حرية التفكير بل ينصبون

فخا للإسلام والمسلمين .. وبينما تهافت البلهاء حطب جهنم في الفخ الذى نصب لهم ، تهافت الذباب على القيح العفن .. سعى الخبثاء إليه سعى الراغب المتشوق !

وقد تعلمنا أن الفتنة لا تشتعل نيرانها من جانب واحد ، أو إذا كان أحد الأطراف يؤججها والطرف الثاني يخمدها أو حتى يطوقها ، بل لابد من تعاون المفسدين من الجانبين فى إضرام نار الفتنة .. ونحن نعرف أنه فى صفوف المنتسبين للإسلاميين يوجد عملاء لشتى الأجهزة المعادية للإسلام التى تحترف ضرب الإسلام باسم الإسلام . وقد كان .. وسرعان ما هبت من صفوف اليمين عناصر لا تقل شبهة وريبة ، تلعن نجيب محفوظ .. ! وبينما رفع اليسار المشبوه قميص نجيب محفوظ وهو فى الحقيقة يهدف للدفاع عن سلمان رشدي ، جاء اليمين المشبوه يلعن رشدي وهو يقصد نجيب محفوظ .. !

الذين بدءوا الاستفزاز لم يعرف لهم أو عنهم تاريخ في الدفاع عن حرية التعبير ، بل كانوا برادع العسكر وفقهاء عهد الاستبداد الذي ألغى حرية الفكر والتعبير

بل ضرب المسيرة الديموقراطية في الوطن العربي ضربة قاصمة لم تفق منها إلى اليوم ، وربما ستمتد خسائرها لأكثر من جيل .. وبعض الذين استجابوا للاستفزاز .. لا تاريخهم ولا سلوكهم ولا عملهم يسمح بتصديق دعواهم في الغضبة للإسلام ، فضلا عن قبول ادعائهم التحدث باسم الإسلام

الفريق الأول أقام مناحة حول فتوى مزعومة لشيخ سجين ، ولم يهتم أحد بنشر نص هذه الفتوى ، التي يشقون الجيوب ويدقون الطبول ضدها .. ولا ظهرت فى أية مطبوعة ولا تليت في اجتماع واحد من اجتماعات الاحتجاج التى انعقدت [١] .. بل قرأنا فى إحدي الصحف سطرا نشر على استحياء في ذيل خبر فى ذيل صفحة داخلية لا يراه إلا المدقق .. الخبر يقول إن الشيخ أبلغ النيابة ضد بعض الكتاب والصحف بسبب الهجوم الذي يشنونه ضده .. ولم يقل الخبر ما هو الهجوم الذي يحتج عليه الشيخ .. إلا أن جميع الملابسات وتوقيت النشر وطريقة النشر تبيح لنا الظن

---

١ في نهاية احد الاجتماعات الصاخبة التي نظمت ضد الفتوى صدر قرار بمحاولة الحصول على نص الفتوى !!

بأنه يحتج على اتهامه بإصدار الفتوى المزعومة .. ولكنهم
كما لم يجدوا من بنود حرية الفكر بندا يطالبهم بالاحتجاج
على اعتقال الشيخ لمجرد أنه يعبر عن رأيه فى خطبة
الجمعة ، وأنه يحب أن يصلي الجمعة في مسجد بلدته
وليس في المسجد الذي تختاره له إدارة الشئون الدينية
في مباحث أمن الدولة ! ! كذلك لم يجدوا من حرية
الرأي أن ينشروا لا فتوى الشيخ ولا موضوع بلاغه
للنيابة .. بل اشتدت الحملة الهيستيرية ضد الفتوى
المزعومة المجهولة .. مما يؤكد أن المطلوب هو رأس الشيخ
وما يمثله وكجزء من الحملة البوليسية ضده .. وليس
دفاعا عن الأديب .. وقد كان الواجب على الذين
اجتمعوا وتعاهدوا باسم حرية الفكر ... أن يرسلوا من
يتبين لهم .. هل جاءهم النبأ من فاسق يريدهم أن يصيبوا
قوما بجهالة .. حتى لو كان فيهم من لايصبح نادما إن
ظلم قوما أو فردا لا يملك الدفاع عن نفسه ؟! سجين
المحابس .. فما من صحيفة تنشر له رأيه حتى لو كان
خارج السجن ، وقد رأينا كيف امتنعت الصحف عن
نشر بلاغه للنيابة إلا واحدة ألمحت ولم تبن عن موضوع
البلاغ .. ! وقد استندوا فى ذلك إلى سوابق دستورية

مستقرة فى ضمير الاستبداد المصري الذي ينبع من واقعنا فمنذ الباشا إبراهيم عبدالهادي وبالاضافة الثورية من جانب ضباط يوليو استقر في اللاضمير القانوني والإعلامي أن « الإسلامي » لا حقوق له ، ولا خطيئة في الكيد له والافتراء عليه .. من حق الجميع مهاجمته ويحظر عليه الدفاع .. الحوار معه مسموح ومطلوب شرط أن يكون هو مكمم الفم مضروبا وفى رواية منفوخا .. أو كما قال : حراس « سراديب الشيطان » لاشرف لهم .. ولامن استأجرهم !

حرّية الفكر أو شرف الكلمة تلزمهم أن يبعثوا من يستقصي موقف الشيخ ولو في السجن ، فإن كان قد اقتصر على رفض الرواية وأصدر نقدا لها ، فذلك من صميم حقه ، لأن حرية الفكر ليست امتيازا خاصا لرأي واحد ولا هي بالحكر لمن يتفقون مع آرائنا .. حرية الفكر تعني أن يكتب الكاتب وينقد الناقد .. حتى لو اتهم الرواية بأنها الكفر بعينه ، فهذا حقه ومسئوليته أمام الله وأمام القراء والمثقفين والمقتنعين بفكره ، ومسئولية المتفقهين في الدين والحريات ليقولوا رأيهم .. بشرط أن يقول الناقد : هذا رأيي وليس رأي الدين فرأي الدين

لا يملك إصداره فرد ولا جماعة محدودة .. وفي حدود موقف حضارتنا من حرية التعبير وهو ما سنتعرض له فيما بعد ..

وبالطبع فإن تكفير عمل فني يختلف عن تكفير مسلم اختلافا بينا في الحيثيات والنتائج وجهة الاختصاص .. فنحن نرى أنه ليس من حق أي فرد أو جماعة أن تحكم بردة مسلم إلا بالاعتراف .. أي إذا أعلن هو خروجه من الإسلام .. لأن الإيمان قضية قلبية محضة وقد أمرنا بقبول إسلام من ينطق بالشهادتين دون الدخول في النوايا .. وقد عاتب رسول الله ﷺ فأوجع حبه وابن حبه « أسامة بن زيد » لأنه رفض إسلام هارب من السيف .. وقال رسولنا قولته الخالدة :. « هلا شققت عن قلبه » ؟ ! فإن كان أسامة بن زيد لا يملك ، في عصر الرسول ، شق القلوب لمعرفة المسلم من المنافق .. فمن ذا الذي يملك اليوم سيفا أطهر من سيف أسامة يشق به قلوب الناس .. ؟ ! وإن كان أسامة بن زيد قائد رسول الله لايستطيع أن يميز بين المسلم عن قبول ورضا ، والمسلم عن نفاق .. فخسىء من يدعي ذلك في زماننا هذا ..

وأحب أن أقف هنا عند ظاهرة هي من الإعجاز الإسلامي ، التي قصد بها تأكيد وتأصيل مبادىء خالدة على مر العصور والأيام ، بشل يد الحاكم المستبد والفكر المستبد عن اضطهاد الناس والتفتيش في ضمائرهم واتهام نواياهم . وإلى هذه الظاهرة وأحكامها يرجع الفضل في نجاة تاريخنا من فضيحة محاكم التفتيش .. ألا وهي ظاهرة المنافقين .. والمعروف أن هذه الظاهرة عرفت في عصر الرسول وحده ، وهم أفراد من جماعة المسلمين يظهرون الإسلام ويضمرون الكفر .. ومن استقراء تاريخ هذه الظاهرة وسنة الرسول في التعامل معهم نلاحظ الآتي :

– أن الرسول لم يتخذ ضد أي منهم عقوبة دنيوية مادية على أساس الاتهام بالردة ؛ لأنه ما من دليل مادي علي عقيلتهم ، وفي ديننا لا تفرض عقوبة مادية إلا علي جرم مادي الأدلة (وهذه – بالمناسبة – حكمة حديث السحر التي عجز الكثيرون عن فهمها فوقفوا حيارى أمام الحديث وتساءلوا كيف يسحر رسول الله ؟ وفاتتهم الحكمة التشريعية من الحديث ، التي جعلت تاريخنا نقيا خاليا من محنة مطاردة السحرة وقتل الساحرين والساحرات ، تلك المأساة التي لطخت بالعار

تاريخ أوروبا وأمريكا إلى القرن الثامن عشر .. بينما ليس في تاريخنا كله حادثة إعدام ساحر أو ساحرة .. وقرر الفقهاء أن الساحر لا يقتل ، والفضل فى ذلك التشريع لحديث السحر ، فرغم ثبوت الجريمة علي الساحر اليهودي ، بابلاغ من ملكين كريمين ، فإن الرسول لم يجد من حق السلطة الإسلامية توقيع العقوبة على الساحر اليهودي ، لانعدام الدليل المادي الذي يجرمه ولأن القاضى لا يقضي بعلمه حتى لو كان رسول الله - صلوات الله عليه بأبى وأمى وشاهت وجوه المارقين - وانظر تفصيلات أكثر في كتابنا « الحق المر » الذي صدر منذ ربع قرن ونعوذ بالله من قولة أنا) .. وهكذا فإن النفاق حتى في عهد الرسول لم يسمح بتوقيع عقوبة الردة على صاحبه .. والذين يبذلون جهداً غير مشكور في الاستدلال من حوادث الاغتيال التي أمر بها النبي وهو في المدينة ، لتبرير اغتيالهم للمسلمين وترويع مجتمعنا ، وإثارة الناس ضد الإسلاميين ، وتصويرهم في صورة القتلة ، بل وإطلاق يد السلطة وأعداء الإسلام للتنكيل بزهرة شباب المسلمين .. أقول إن هؤلاء الذين يفتون بشرعية الإرهاب ، يفوتهم أن الرسول لم يمارس الاغتيال الفردي في مكة ، مرحلة الدعوة وتعريف الناس بما يريد

وما يدعوهم إليه وما يبيح له أن يقلق حياتهم ويدك مجتمعهم من أساسه .. وقد كان بوسع رسول الله أن يأمر من شاء من المسلمين في مكة ، باغتيال أبي جهل أو أبي لهب أو حتي أبى سفيان .. بل كان في وسع خباب عندما أعدوه للقتل وأرسلت له – خطأ – المرأة التي اعتقل في بيتها ، ابنها بسكين ، كان يستطيع ذبحه إنتقاما وهو موقن أنهم سيذبحونه بعد ساعات وهو ما حدث فعلا .. أو على الأقل كان يستطيع خطف الغلام كرهينة ويساوم عليه .. ولكنه لم يفعل بل قال قولته المشهورة « نحن قوم لا نخون ولا نغدر » . وصحيح أنه استشهد ، ولكن أسلمت الأسرة التي شاهدت هذا الموقف النبيل وروته للأجيال ..

فحوادث الاغتيال التي أمر بها الرسول وقعت في المدينة ، بعد أن قامت الدولة وتولي الرسول رئاستها ، وعرف الناس مبادىء وسلوك هذه الدولة وأهم من ذلك عرفوا ممثلي هذه الدولة – الثورة ، الذين يملكون شرعية إصدار القرار والتحكم في مال الناس ودمائهم .. وأهم من ذلك كله من زاوية حديثنا أن هؤلاء المنقبين لم يجدوا ، ولن يجدوا حادثة واحدة أمر النبي فيها باغتيال

مسلم ولو من مشاهير المنافقين حتي الذين أمره الله بألاّ يصلي عليهم ، ولا يستغفر لهم ولا يخرجوا معه في جهاد ولا يقاتلوا معه عدوا بل شهد الله بكفرهم .. حتي الذين أحرق الرسول عليهم مسجد ضرار لم يأمر الرسول بقتل أحد منهم ولا رخص الله سبحانه وتعالي في قتلهم ، فمن أين استباح هؤلاء اغتيال المسلم ؟ وهل يرجحون فقه وفتوى أئمتهم علي تشريع وسنة رسول الله ؟ ! (واذا كان يعجبهم الاستشهاد بثورة إيران ، فهذه الثورة لم تسبقها ولاتخللتها حادثة اغتيال واحدة من جانب الإسلاميين ولاقنبلة واحدة !)

– المغزي الثاني الذي يمكن استقراؤه من ظاهرة المنافقين ، أنها اختفت بوفاة الرسول ، ليس لأن الناس أصبحوا أكثر إيمانا وأطهر قلبا ! بل لأن النفاق باعتباره اقتناعا داخليا لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالي ، وهو الذي يطلع الرسول عليه .. وبوفاة الرسول وانقطاع الوحي لم يعد بوسع حاكم ولا فقيه أن يعرف قلب المؤمن من قلب المنافق .. فاكتفي بما يعلنه الفرد .. واقتصر الحكم والإدانة علي الفعل المحدد .. فإذا جاء متشدد يتهم

مسلما بالردة والمسلم يتلو الشهادتين ويعتبر نفسه مسلما ، وجب إنزال العقوبة بالمتشدد ..

هذا فيما يتعلق بتهمة الردة ولا يمنع بالطبع من إدانة الأفعال والمواقف الظاهرة والتي يمكن إثباتها بالدليل المادى والبرهان العقلي .. ولكن تهمة الردة مرة ثانية وعاشرة ، لا تثبت إلا بالإقرار لأنه حتى لو فرضنا أن مسلما كفر بالله ثم لما سُئل أنكر ذلك وشهد بأنه مسلم ، قبل إسلامه ..

ولذا إذا كانت قد صدرت فتوي من أي فرد تتضمن أو تنص علي القتل ، فذلك أمر خطير يستوجب حتي تدخل السلطة ، ويتطلب مراجعة شاملة من المهتمين بمستقبل العمل الإسلامي وسمعة المسلمين .

ولا أستطيع أن أبعد عن خاطري ، أن فريقاً من الغاضبين المهاجمين لأديبنا الكبير ، لا يأخذون عليه « أولاد حارتنا » بقدر ما كرهوا منه معارضته لتخصيص جائزة مالية لقتل رشدي .. مع أن نجيب محفوظ وحده

من بين حاملي جائزة نوبل الذي رفض توقيع بيان الدفاع عن سلمان رشدي والتعريض بالخميني [1] .

وأنا شخصيا كرهت هذه الفتوى ، وأتمني لو أعلن أن رصد ثمن لرأس سلمان رشدي لم يصدر عن الإمام الخميني ، بل هو من فعل واحد من الذين طردوا أخيرا أو ابعدوا عن السلطة في إيران .. فأنا أجل الإمام ومازلت أرجو الخير له وبه .. والقرار برصد الملايين لقتل « كافر » قرار بشع أعاد ذكريات القتلة المأجورين من جماعة الحشاشين الذين كانوا حربا علي الإسلام ومانجحوا إلا في اغتيال قيادات المسلمين .. وهؤلاء القتلة المأجورون هم الذين ابتدعوا خطيئة قتل المسلم في

---

١ وقع البيان خمسة من المصريين فى مقدمتهم الأستاذ انيس منصور الذي يهاجم سلمان رشدي فى الصحف المصرية بينما يقول ضاحكا إنه وقع البيان العالمى بالدفاع عنه بالفاكسميلى وهو في المدينة في ضيافة الحرس الوطنى السعودي !! كما وقع البيان كل من أمنية السعيد ونوال السعداوي التى مولت مؤسسة فورد مؤتمرها لتحرير المرأة .. وأحمد عثمان ومرسى سعد الدين شقيق بليغ حمدى ولا فخر .

المسجد .. ماسبقهم إليها .إلا المجوسي وأشقاهـا الخارجي [1]

مرة أخرى أحس أن غضبة البعض علي نجيب محفوظ ليست لله وإنما هي غضبة لطهران وفتواها ، واتخذوا « أولاد حارتنا » تقية .. وتبع هؤلاء آخرون — كما قلت عنهم — يفرحون بتكفير مؤمن أكثر من فرحتهم بهداية ضال .. هم بكاثوليك محاكم التفتيش أولى من نسبتهم إلى دين محمد رسول الله الذي كان يدعو الله أن يعز الإسلام بأبي جهل ! .. والذي كان يتسمع وقع الأقدام يرجو أن يبشره القادم بإسلام يهودية أسيرة ! فما بال هؤلاء يصلون علي النبي ويخالفون سنته .. ما بال هؤلاء لا يستريحون إلا إذا أثبتوا كفر كل نابغ ونابه .. كأنهم مكلفون بإثبات استحالة أن ينبغ المسلم .. ! بل نبشوا القبور وأخرجوا الأموات ونصبوا لهم محاكم

---

١ علق أديب وفنان ومجاهد إسلامي خفيف الدم على تخصيص خمسة ملايين دولار لقتل سلمان ، علق بأن العطاء لم ينفذ بعد .. لأن المافيا مازالت تجري حاليا دراسة جدوى لتفيذ هذا العطا !!

التفتيش [1] وتبادلوا التهاني بثبوت كفرهم .. وآخر ضحاياهم المجاهد الشهيد أستاذ الأجيال جمال الدين الأفغاني .. شاهت الوجوه .. من فيهم له في خدمة الإسلام ماللأفغاني ؟ ! . الأفغاني بلا جدال هو أعظم مسلم في القرن التاسع عشر هو الزعيم المفكر ، الذي جعل العالم الإسلامي ميدان نشاطه ، متخطيا بنجاح ، الحدود القومية والمذهبية ، بل استطاع أن يجند المواطنين غير المسلمين في إطار دعوته لتحرير الشرق ببعث الإسلام ، فتمكن من أن يقود الإيراني والأفغاني والتركي والهندي المسلم مع الهندي المجوسي . ووحد العربي المسلم والمسيحي ، بل اليهودي العربي .. واستطاع أن يثير ثورة بين شيعة إيران وسنة مصر ، حتى سبب للمتخلفين من بعده الحيرة ، فهم يتساءلون اليوم : هل كان سنيا أو شيعيا .. ؟ ولا يتسع المجال لقول كل شيء عن الأفغاني ولكن يكفي القول إنه استطاع أن يطرح دعوته في صيغة ما سبقه إليها أحد ، وضلت كل الحركات التي جاءت بعده عنها ولن يتحقق بعث إسلامي إلا بالرجوع إلى

---

١ التى لم تعرفها حضارتنا ، بل كانت محاكم التفتيش اختراعا غربيا صاحب ظهور وانتصار الحضارة الغربية

صيغته ، وهي التي ندعو لها نحن اليوم والتي سميناها :
الإسلام الحضاري .. الإسلام السياسى .. الإسلام
الجغرافي .. الصيغة التى تنبثق من الإيمان بالمواجهة الأبدية
والدائمة بين الشرق والغرب . وأن ملامح هذا الشرق
تحددت في الحضارة الإسلامية .. وأن سائر القوميات
والأديان في تلك المنطقة هي جزء من هذه الحضارة
الإسلامية ، بمعنى وحدة التاريخ والثقافة والمصير .. وكان
الأفغانى هو أول مفكر إسلامى فى العصر الحديث ، وعى
طبيعة المواجهة الحضارية بين الشرق والغرب ، وقد نجح
الأفغانى في التوصل إلى هذه الصيغة المتفوقة ، لأنه لم
يحاول إنشاء حركة دينية ، أو إن شئت لقد توصل من
هذا الوعي بالمجابهة الحضارية إلى خطأ البدء أو الانحصار
في حركة دينية ، فالافغانى وحده يمكن وصفه بأنه اهتم
وجاهد في كل القضايا الإسلامية التي عاصرها ، وترك
بصماته على حركة البعث الإسلامي إلى يومنا هذا .. بل
كل الحركات الإسلامية ، خرجت من تحت عباءته ،
ومن تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه ، ومع ذلك فلا أدعى
الإمامة ولا سماه أحد بالإمام ، ولم ينظر المعاصرون ولا
التابعون للأفغانى كزعيم دينى أو فقيه ولكنه بلا جدال
أستاذ الجميع ، وخير من خدم الإسلام في القرن التاسع

عشر ، ولولا شنشنة نعرفها من أخزم ، لقلنا بل ومنذ ذلك التاريخ إلى اليوم .. ولو استطاع الأفغانى أن يشكل المؤتمر الشرق أو الإسلامى ، من خلال الصيغة السياسية التي طرحها ، ولو وعى تلاميذه هذه الصيغة ، أو قل لو اخلصوا لها لربما تغير تاريخ الشرق .. هذا هو الأفغانى الذي تحالف الصليبيون مع المخرفين من أدعياء الوصاية علي الإسلام لتجريحه .. وأي فوز أن نثبت خيانة وماسونية وجاسوسية الأفغانى وتقوى وإسلامية زعيط ومعيط من النكرات ، من « برهم سرقة ونجدتهم صراخ » !

جريمة « نجيب محفوظ » أنه قدم وجها إسلاميا مشرقا في الزمن الردىء جدا .. وفي زمن بدا فيه المسلم قبيح المسلك قبيح الفكر .. والتفتوا حولكم وتساءلوا من هو المسلم الذي نباهي به الأمم اليوم ..؟ من هو المسلم الذي يغري تألقه أو مسلكه ، الحائرين بدراسة دينه ليكونوا مثله .. هل لديكم مثل الأم تريزا .. ؟ فإن لم تفعلوا فارفعوا أيديكم عن الوجه المشرق .. لقد جاء

---

١ انظر دراسة لنا بعنوان الأفغانى شيعي ولاَ سنى – رسالة التوحيد ديسمبر ١٩٨٥

نجيب محفوظ المسلم المتفوق وأول من أشاد بحضارة الإسلام من فوق منبر نوبل .. لعله أول من ذكر الإسلام بخير من فوق هذا المنبر [1]

افتخر محفوظ بانتسابه إلى هذه الحضارة ، وقبل تسلمه الجائزة وفي خطاب قبوله لها ، فحتي لو صدقنا الاتهام بأن دهاقنة وأحبار الجائزة منحوها له لموقفه السلبى المزعوم من الدين .. فإن الفنان العبقري قد أبطل كيدهم ورده في نحورهم بأن علق قبوله براءة الجائزة علي قبولهم نسبته واعتزازه بالإسلام ، وأنه نتاج هذا الدين وابن حضارته المتفوقة في احترامها للفكر البشري مهما يكن مصدره .. في وقت يقوم فيه « مثقفون » بل فقهاء وأدعياء الإسلامية ، يقومون بعملية « استربتيز » لمبادىء الإسلام ليحوزوا وجاهة في عين الغرب أو ليفوزوا بمحاضرة في جامعة من الدرجة الثالثة ..

---

١ لم تتح لى فرصة للإطلاع على خطبة امبرتواكو .. مؤلف التحفة الخالدة « اسم الوردة » التى أشاد بها بدور الإسلام فى البناء الحضارى الإنسانى وقد فاز عليها بجائزة نوبل بنفس الحيثيات التي قيلت فى قرار منحها لنجيب محفوظ تـقريبا

أدبينا الكبير عندما سألوه عن الشخصية التي يجلها وتأثر بها قال على الفور : محمد رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ..

كان يمكن أن نطل على العالم بوجه مصري - عربي - مسلم متفوق ولكننا آثرنا بتخلفنا يسارا ويمينا ، أن نستنزف جهد الشيخ في الدفاع عن نفسه وعروبته ودينه .. والاعتذار عن تفوقه حتى يرضى عنه الأقزام .. واستنزفوا جهدنا في الدفاع عن فخر أمتنا ..



أولاد حارتنا

أما الذين انتبهوا فجأة لخطورة أولاد حارتنا ، بعد غفلة ثلاثين عاما من نشرها ، فأنا على ثقة أن نسبة من قرأوا الرواية منهم لا تزيد على خمسة بالمائة .. فالرواية لم تكن أبدا الهدف الحقيقي للمدافعين ولا المهاجمين .. ومع ذلك لابد من كلمة عنها .. فإن شئت أن أجمل رأيي فأنا أقول : إن المسلم الذي يتعرف على الله سبحانه وتعالى من ملامح شخصية الجبلاوي ، هو الذي يستحق الاستتابة ، ويجب عليه أن يعيد تثقيف نفسه في علم التوحيد . وهو مسلم ظن بالله الظنون ولم يقدر الله حق قدره .. والسموات مطويات بيمينه .. سبحانه وتعالى عما يشركون .. ولكن لأن الإطالة لازمة والإسهاب ضروري في حوار المتخلفين .. فأقول : الجبلاوي كما قدمه أديبنا هو رجل يسعى على قدمين ويلبس جلبابا ويبني لنفسه بيتا « يحتمي فيه من الخوف والوحشة وقطاع الطرق » .. وهو « جبار في البيت كما هو جبار في الخلاء » .. « فتوة » له وجه إذا غضب « اكفهر حتى حاكى لون النيل فى احتدام فيضانه » وهو إذا جلس

بعد العشاء وجمع ايراد الوقف سامر أولاده بقصص صبواته « ومغامرات الفتوة والشباب ، إذ هو ينطلق فى تلك البقاع ملوحا بنبوته المخيف » أما أولاده فيقضون كل ليلة فوق سطح البيت « يأكلون ويشربون ويقامرون » .. وهو اتخذ أكثر من صاحبة وأكثر من ولد .. وتزوج محصنات وغير محصنات وهو رب أسرة له « خمسة أبناء : إدريس وعباس ورضوان وجليل وأدهم »

وسبحان ربنا الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا

وهو كمزواج « عبثت به جارية » « وبيته بيت المآسي » كم من سيدة مصونة تحولت بكلمة إلى متسولة تعسة » « وكم من رجل غادر (بيت الجبلاوي) بعد خدمة طويلة مترنحا يحمل على ظهره العاري آثار سياط حملت أطرافها بالرصاص والدم يطفح من فيه وأنفه « وهو كما وصفه ابنه « قاطع طريق » وابنه رضوان خائف على سمعة العائلة .. عائلة الجبلاوي المفروض أنه الله سبحانه وتعالى في ظن الظانين ، ابنه يقول : «أى فضائح تخبىء الأقدار لأسرتنا » ..

أى أقدار تلك التى تخبىء لأسرة الله ؟ !

تعالى عما يصفون

بل استمع لابن الجبلاوى – هذا الإله المزعوم – يصرخ في أخيه : « اخرس يا كلب يابن الكلب ، لاانت أخى ، ولا أبوك أبى ، ولأدكن هذا البيت فوق رءوسكم !! ويهدد أباه الجبلاوي : « سأهبك حفيدا من الزنا تقر به عينك ! !ويتوعده « غداً يمترج دمك بأحقر الدماء »

أولاد سى السيد كانوا يتكلمون عليه بلهجة أكثر احتراما في بين القصرين !

وبيت الجبلاوي بشهادة الجبلاوي نفسه « يحتقر المساكين » والجبلاوي يخاطب ابنه ادهم فيقول : أجب ياوضيع » ..

وجبلاوى حارتنا يحلف بالطلاق وفى النهاية يموت .. !!

كيف يخطر بعقل مسلم أن المؤلف يقصد الله سبحانه وتعالى بهذا الرجل أبو أدهم أو بالأحرى أبو

إدريس فهو بكريه .. ؟ ! ما وجه الشبه أو الاشتباه ؟ ما مبرر توقيف نجيب محفوظ بتهمة العيب فى الذات الإلهية ..؟! ألا يذكرنا هذا الظن بالنكتة المعروفة عن العسكرى الأبله الذي كان ظنه بحكومته أسوأ من اشتباهه فى المواطن ؟ !

وبالطبع لا يعنى ذلك أننا نخفى وجهنا خلف إصبعنا فنزعم أن رواية أديبنا الكبير لا علاقة لها بالأديان وقصة الخلق .. فهذا قول لا نذهب إليه فى دفاعنا .. لسنا ممن يجاملون على حساب الحق ، ولا علاقة أو مصلحة شخصية لنا بالرواية أو الفنان ، الذي لم نقابله إلا مرة واحدة منذ عشرين عاما .. ولكنها مسئولية الكلمة وشرف ما نؤمن به والاعتزاز بكفاءة مصرية مسلمة .. ونفى الشبهة عن مفاهيم ديننا ومسلكية حضارتنا الإسلامية ، والتصدي للذين يريدون تنصيب أنفسهم هيئة كهنوت تراقب الفكر وتحدد للناس ما يقرأون وما يحرم عليهم قراءته .. [1] وديننا وحضارتنا لا

---

١ الحق أننى شديد الانزعاج من تزايد تدخل رجال الدين فى الرقابة على الفكر بل روعت عندما أحالت إحدى المحاكم قضية قذف إلى جهة دينية .. مع أن عمر رضى الله عنه على فقهه طلب رأي شاعر عندما واجه قضية مماثلة

يعرفان الرقابة على الفكر ، ولا صدرت قط قوائم الكتب المحرمة ، التي مازالت الكنيسة الكاثوليكية تصدرها إلى اليوم .. حضارتنا لم تعرف حرق الكتب ، تلك الحركة التي بدأها بولس الرسول في روما ، وكانت سمة من سمات الحضارة الغربية إلى أن أحرق البلاشفة والنازيون الكتب فى القرن العشرين .. حضارتنا لم تعرف حرق الكتب بل كانت السلطة تنكل بالكاتب لأسباب سياسية فى الغالب ، وفى حدود المسموح به فى تلك العصور ، أما الكتاب فلا يمس .. وهكذا سمعنا عن الموتة البشعة لابن المقفع ولكن كتبه وصلت إلينا سليمة حتى من الحذف ، ونفس الشيء عن أشعار المعري ، أو مؤلفات المعتزلة وخصومهم .. وتقول المصادر المصرية:إن « محمد على » دس السم للجبرتى بل وقتل ابنه ، ولكن سلم كتاب الجبرتي بكل مافيه من هجوم حاد بل وغير منصف في بعض الأحيان ضد محمد على ..

وحقيقة .. لقد حرقت بعض الكتب فى الأندلس ولكن ذلك كان تحت ضغط العامة الذين كانوا يعيشون في مناخ التعصب الكاثوليكي ، وكانوا يواجهون خطر الإباده من هذا التعصب ، وبالفعل ما إن سقطت السلطة

الإسلامية التي أقامت اعظم صور التعايش والتسامح ثمانية قرون .. ماإن سقطت هذه السلطة حتى أبادت السلطة الكاثوليكية الجديدة ، الإسلام والمسلمين ، فى اكبر وأول عملية إبادة جماعية شنتها الحضارة الغربية الحديثة .. ومن التزوير التاريخي الفاضح ، أن يتحدث البعض عن محاكم التفتيش ويتجاهلوا أنها قامت أساسا وأولا ضد المسلمين ، وبهدف إبادتهم في اسبانيا والبرتغال ثم توسعت .. وأخيرا إذا كان البعض يتحدثون عن حرق كتاب ابن النغريلة ، فهم ينسون الإشادة بهذا المجتمع العجيب والحضارة الخالدة ، التي سمحت ليهودي يعيش في دولة مسلمة ، بتأليف كتاب في نقد الدين الإسلامى فلا يجد الفقهاء والمثقفون والسلطة من إجراء يتخذونه ضده إلا تأليف كتاب [1] مضاد .. ومتى .. ؟ فى القرن الحادي عشر الميلادي .. هل كان هناك يهودي في أي بلد أوروبي آخر يحلم بأن يقرأ الكتاب .. ؟ أما العامة الذين استفزهم الكتاب فقد شرحنا بعض عوامل تشكيل موقفهم وهم لا يصلحون كمقياس لإدانة النظام أو الحضارة .

---

١ « الرد على ابن النغريلة » لابن حزم

محفوظ والأديان

.. نعم رواية نجيب محفوظ لها علاقة بالأديان وقصة الخلق.. ولكن كيف ، ولماذا رأينا أنها لا تسىء إلى الدين .. كما قلت من قبل .. ؟ !
الأمر اعمق مما يذهب إليه المفسرون .. إنها قضية قديمة شديدة التعقيد ، خطيرة النتائج ، لا على المسلمين وحدهم ، ولا في زماننا هذا ، بل على العديد من الشعوب والحضارات .. وعلى مر العصور منذ أن تحولت هذه التوراة ، المتداولة اليوم ، من مذكرات خاصة بشعب بعينه ، إلى كتاب مقدس أو مقبول من شعوب عديدة ..

فقد وردت قصة الخلق فى التوراة ، مزيجا من ومضات الوحي الالهي ، وهي أقل من النزر اليسير ، مخلوطة بركام هائل من خرافات الشعوب الوثنية وتخيلات كتبة التوراة على مر القرون . وبقدر ما أُتيح لهؤلاء الاحبار والرواة من ثقافة وسعة خيال ، وجرأة في تفسير ما لاعلم لهم به والإفتئات بنسبة هذا الذي يكتبونه بأيديهم لله سبحانه وتعالى .. وقد كان تأثير هذا الكتاب البدائى

محدودا طوال عزلة اليهود عن العالم ، وحصرهم فكرهم فيما بينهم .. فكما هو معروف فإن اليهود لا يبشرون بدينهم ولا يدعون أحدا من غير بني إسرائيل ينضم إليهم .. فلما جاءت المسيحية وصدقت على التوراة المتداولة وسمتها العهد القديم أعطت قدسية للكتاب ورواجا هائلا لرواياته ، وتأثيرا كبيرا لهذه الروايات وبخاصة فيما يتعلق بتصور الذات الالهية .. رغم ما أحس به الكثير من مفكري المسيحية من تعارض بين روايات التوراة وتعاليم المسيح وتناقض ذلك مع قبول قدسيتها .. فلما جاء الإسلام بدعوة الحق سبحانه وتعالى ، على لسان من لا ينطق عن الهوى ، كان موقفه واضحا لا تناقض فيه ولا حرج ، فقد أعلن أن هذا الكتاب الذي يحمل اسم التوراة هو من صنع البشر . وهو غير التوراة التى نزلت على موسى والتي يؤمن بها الرسول والمسلمون .. وهو الموقف الطبيعي من دين جاء بأنقى صيغة للتوحيد .. وكان ذلك كفيلا بتحرير المسلمين من التصورات التوارتية والترهات بل الفضائح التي وردت بها مثل حكاية إبراهيم وسارة وفرعون ... أو سرقة يعقوب النبوة من عيسو أو كيف شهد لوط تدمير مدينة

وهلاك قومه بسبب انحراف جنسي ثم يجامع هو ابنتيه قبل أن يزول غبار المدينة المدمرة !

ربنا لا تؤاخذنا بما قال السفهاء واعف عنا واغفر لنا ..

الإسلام في صيغته القرآنية وأحاديث الرسول وبنفيه صحة التوراة ؛ أنقذ المسلمين من هذه الترهات .. ولكن للأسف عندما ظهر المفسرون والإخباريون والمحدثون استسهلوا الاعتماد علي الرواية الإسرائيلية في التوراة .. تلك الرواية الغزيرة التفاصيل إلى حد الثرثرة ، استعانوا بها فى تفسير وتفصيل الإشارات التي وردت في القرآن لبعض الاحداث أو الشخصيات التي جاءت في التوراة ثم اغترفوا من هذه التفاصيل ، بل وغرقوا في أحابيلها .

ولم يكن للمسلمين من عذر فى قبول الرواية الإسرائيلية بعدما أكد القرآن زيفها وتحريفها .. ونفى الرسول لعمر بن الخطاب أن يكون فيها خير[1] .. وتأكد

---

١ فى هذه الواقعة عبرة جديرة بالتامل والاستيعاب فقد شاهد الرسول عمر بن الخطاب يقرأ التوراة فلم يصادرها ولا منعه من قراءتها بل ابدى رأية فى عدم جدواها .. لو كان فيها خير لاستفاد منها اليهود أو ما معناه .. صدقت عائشة أم المؤمنين .. « كان خلقه القرآن »

الأختلاف الكيفى بين التخيل الإسرائيلى الساذج الممعن في التفاصيل الخاطئة المنحرفة والمحرفة .. وبين الإخبار الإلهى كما ورد القرآن جامعا بين القدسية الواجبة للأنبياء والتطابق مع قوانين الحياة والكون .. بين التصور التوراتي لإله بملامح وطباع آدمية ، وإن تمتع بقوة خارقة تفوق قوة آدم وإبليس معا .. بين التوراة التي بدأت بزعم أن الله خلق آدم على صورة الله فلما جاءت تتحدث عن هذا الإله جعلته هو على صورة آدم .. وهذا ما استقر في الأذهان ، وليس العكس . فقد كان الأسهل هو تخيل الإله بمواصفات الإنسان المعروفة والمتاحة ، وهكذا جاء إله التوراة آدمى الملامح إلى الحد الذي أمكن رسمه .. !

وهو ما يختلف جوهريا عن التصور الإسلامى الذي لم يقل إن ادم خلق على صورة الله ، لأن الله ليس له صورة تدرك فتنسخ أوتتكرر أو حتى تقتبس .. بل لا شبيه ولا شبه .. لم يكن له كفوا أحد .. سبحانه وتعالى خلق الإنسان فى أحسن تقويم ثم رده أسفل سافلين حين نسى التوحيد وعبد العجل وما أشبه ..

ومن الغريب أن السلف كانوا على وعي بتهافت الرواية الإسرائيلية وخطورة تسللها للفكر الإسلامى ،

حتى إنهم أطلقوا عليها « إسرائيليات » وأصبحت هذه الكلمة تعني في القاموس الإسلامي ، التلفيقات ..

الأساطير .. الروايات المدسوسة والخاطئة المحرفة للحقيقة الإلهية ، ورغم ذلك تسربت هذه الإسرائيليات للثقافة الإسلامية ، للاستسهال ، والرغبة في المزايدة والإدهاش ، وإرضاء تعطش العامة لسماع التفاصيل والغرائب والخوارق .. ولأن العامة ينزعون عادة إلى تجسيد المطلق ، وتشبيه المتنزه عن الصفات ، ليسهل عليهم تخيله والتعامل معه ، ولأن الوثن أو الإله الآدمي أقرب إلى فهم العامي وقلبه .. وهذا يفسر كيف كانت دعوة التوحيد سرعان ما تتراجع لعبادة العجل .. ولماذا احتاج البشر إلى العديد من الانبياء ، وكيف امتدت يد التحريف للكتب المقدسه ، وتسربت الأفكار الوثنية أو شبه الوثنية في بعض ممارسات المؤمنين حتى بأكثر العقائد توحيدا ..

وهكذا اغترف المؤرخون والمحدثون والمفسرون من فيض الروايات والاساطير التى وردت في التوراة

والتي تبدو من شدة إغراقها في التفاصيل كأنها تاريخ مؤكد [1] .

وأخيرا وكمحصلة لما ذكرنا وما فاتنا حصره فقد تسرب إلى الفكر الإسلامى – للأسف ملامح إله

---

١ حتى فضيلة الدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوى ، رأى أنه بحاجة الى توسيع إخبار القرآن الذى فى حديثه عن يعقوب لم يذكر من أبنائه إلا اسم يوسف .. فأضاف الشيخ الجليل من التوراة الاتى : وكان أولاد يعقوب الذكور أثنى عشر ولدا . من زوجته ليئه ستة أولادهم راوبين — شمعون — لاوى — يهودا — يساكر — زوبولون — .. واعقب من زوجته راحيل .. الخ ص ١٨ وشجرة العائلة هذه لم ترد لا فى القرآن ولا فى السنة .. ولا أهمية دينية لها وإلا لما أغفلها العزيز الحكيم فى محكم وخاتم التنزيل .. ولكن من الصعب مقاومة إضافتها مع أن بحث الشيخ عن بنى إسرائيل فى القرآن وليس قصة يوسف فى التوراة . !

.. ورغم وضوح معنى لفظة « سكينة » فى القرآن .. وإثبات ابن كثير هذا المعنى وهو « السكن والاطمئان والوقار .. » فإنه لم يستطع مقاومة الأساطير الإسرائيلية التى تتحدث عن « شكينة » بالشين وتزعم أنها زوج الله ، والعياذ بالله ، وانه بنى الهيكل لها كمسكن للزوجية ، فلما هدم الهيكل .. شردت واستحال على إلههم أن يجتمع بها لأنه لايستطيع توفير بيت الطاعة .. الخ .. تسربت هذه الروايات إلى المفسرين فنرى ابن كثير يقول « وقيل السكينة طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء أعطاها الله لموسى فوضع فيها الألواح .. وقيل السكينة لها وجه كوجه الانسان ثم هى روح هفافة .. » الى آخر الخزعبلات ، ولكن للأسف جاء المستشرقون اليهود فاستخدموا هذه التفاسير أو الإسرائيليات للزعم بأن « السكينة » التى وردت فى القرآن هى شكينة .. وهذا من فعل الذين استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ...

التوراة ، رغم ما اتصف به الله من تنزيه عن صفات يهوه أو إيل الذي يعمل ويتعب ستة أيام في الاسبوع ويحصل على أجازة في اليوم السابع يرتاح فيها من التعب ويلعب بسمكة .. وهو يتمشى فى الجنة فيسمع آدم وقع خطواته فيختبىء منه .. والذي لعب مصارعة حرة مع يعقوب وفاز بالنقط وفر هاربا عند طلوع الشمس وكأنه دراكيولا !

هذا هو الإله الذي شبه لهم في شخص الجبلاوي !!



أديبنا الكبير عمد إلى رواية التوراة هذه ، التى استقرت فى « الفلكلور » الديني العالمي فأعاد صياغتها .. وهو ما فعله عشرات الفنانين من قبله .. إلا أن خلفيته الإسلامية لم توقعه فيما يمس تصورنا لله سبحانه وتعالى بل لعله غالى في الاحتياط لهذه الشبهة أو المظنة ، ومن هنا كان حرصه على إضافة تفاصيل شديدة الآدمية لرمزه ، ولو كان يهدف إلي الإيحاء بأنه يتحدث عن الله .. إله المسلمين والإسلام لما احتاج لهذه التفاصيل التي تضلل القارىء وتعقد الرمز .

إن كان الجبلاوي هو الله فى رمز نجيب محفوظ ، فلماذا جعله والداً لخمسة ابناء ، ولماذا يتزوج رفاعة ويقتل إن كان الحديث عن مسيح القرآن الذي ما صلبوه وما قتلوه ؟ ! .

نجيب محفوظ لم يفعل أكثر من مبيض « حارتنا » الذي رسم صورة للجبلاوي على حائط المقهى أو الغرزة على : « مثال ما يرد من أوصافه فى الحكايات » ..

الحكايات الإسرائيلية بالطبع ، فليس فى الإسلام حكايات ولا أوصاف لله يمكن أن ترسم بالفرشاة ..

اسألوا أنفسكم

ترى لو أتيح لمسلم من السلف الصالح من جيل النبوة ، مسلم لم تتلوث فطرته بالإسرائيليات ولا أفسدت عليه حسه الإسلامى بنقاء التوحيد .. لو أتيح لهذا المسلم أن يقرأ « أولاد حارتنا » أكان يخطر بباله أن المقصود هو الله سبحانه وتعالى .. ؟ !

قال الرسول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » .. فكيف غفل الذين أدانوا ، عن كل الشبهات التى تحيط بشخصية الجبلاوي ، الرجل الذي يأكل وينام ويتزوج ويطلق وينجب الأولاد ويشيخ ويموت .. ؟ !

عندما يرمز الفنان لا يجوز لنا أن نفتش عن قلبه أو نتهمه بما لم يقل أو يصرح .. ولنتذكر دائما أن الفن الرمزي هو كما يقال عن ماء زمزم : « هو لما شرب له » أي- على حسب نية الشارب .. هكذا الفن

الرمزي يوحى لك بما تريد أن تفهم ، لذا يقال إنه على عدة مستويات .. وإن القارىء يشترك مع الكاتب فى تأليفه .. ولا حاجة للإطالة فليست صناعتنا ..

ولا يجوز أن يستمر الخلط بين حكايات التوراة ومحكم التنزيل ، حتى لو تشابهت الاسماء .. وكما لا يجوز لمسلم أن يتطاول على النص أو التصور الإسلامى .. كذلك لا يجوز لمسلم أن يدين الناس بالتصور التوراتي أو يفرض قدسية قصة الخلق كما وردت فى التوارة فهي حكاية من حكايات الأمم الغابرة باعتراف اليهود أنفسهم . وما أكثر الذين اعتبروا حكايات التوراة « فولكلورا » يشكل مادة خامة عالجوها فنيا ، في تصور جديد ، وابداع جديد .. ونجيب محفوظ واحد من هؤلاء أعاد صياغة تلك الحكاية ، كما فعل طاهر أبو فاشا في ألف ليلة .. وصحيح أن نجيب محفوظ أبدع وأغرب وأطرب .. فهل هذه جريمة .. ؟ !

---

١ انظر التوراة الجديدة التى صدرت عن الهيئة العبرية — الامريكية ويشرف عليها .. GUNTHER PLAUT . وانظر كتابنا عن الاناجيل ..

ومرة أخرى فإن الإلتزام بالحقيقة يحتم القول بأن نجيب محفوظ رأى ضرورة إضافة رمز لدعوة الإسلام ، ليستكمل الحقيقة من ناحية ولكي لا يسقط في النفي اليهودي للإسلام ، ومن ناحية أخرى ليعطى نفسه الفرصة فيعبر عن تفضيله لرسالة نبي الإسلام ، وقناعته بتفوقها ، على كل الرسالات وأن الإسلام هو خاتم الأديان .. ولا شك أن « قاسم » يرمز إلى الرسول ﷺ ولعل أديبنا قد استخدم هذا الاسم عن عمد لكي لا يترك مجالا للتخمين ، ولأنه في حالة الإسلام ، لا يملك حرية التعامل مع التاريخ ، لأن تاريخ الإسلام ثابت ومحقق ومحفوظ .. وباستثناء ضرورات الرمز التي لا تسيء إلى المرموز إليه ، إلا كما يسيء إلى الملك الرمز له بالأسد في حكايات كليلة ودمنة .. ولم نسمع أن ملكا غضب لذلك .. فالرمز أسلوب فى الفن متعارف عليه ، ومقبول ، مادام لا يحمل تشويها لشخصية أو مبادىء الشخصية التي يرمز لها .. والناقد غير المسلم سيقول إن نجيب محفوظ كان متحيزاً للإسلام .. أما المسلم فسيرى أنه قال الحق وأثنى على رسول الله بما هو أهل له .. والقارىء يخرج فى النهاية بأن دعوة الإسلام كانت خاتمة

وخير الدعوات ، وحضارة الإسلام كانت أفضل ما مر بحارتنا ... **وإذا كان نجيب محفوظ قد أوصل القارىء لهذه النتيجة عبر الرمز فالعبرة بالنتائج ..**

فيا من أسأتم الظن بالله حتى تلمستموه فى الجبلاوى ! استغفروا ربكم وتوبوا إليه وطهروا فكركم من الإسرائيليات .. واتلوا سورة الإخلاص .. ولتكن هذه مناسبة لحركة نقد عامة نطهر فيها التراث الإسلامى من الإسرائيليات ليعود الفهم الإسلامى للتوحيد صافيا كما بدأ وكما أنزل .. فيشمر الشيوخ عن سواعدهم لتعقب الإسرائيليات فى كتب التفاسير ، وليس فى أولاد حارتنا .. فمهما تكن مكانة نجيب محفوظ فهي مجرد رواية لا يدرجها أحد في مصادر الدين ..

ويا من ظلمتم فخر جيلنا وعبقري أمتنا .. اعتذروا إليه وسامحوا تفوقه .. هذا التفوق الذي لم يكن مصادفة ولا ضربة حظ ، بل ثمرة جهد ودأب وإخلاص شهد به الجميع .. وهو فى النهاية محسوب لأمتنا وحضارتنا ..

أما عن مشبوهي اليسار فأقول لهم .. خاب سعيكم ولن تدركوا ما تبغون ، حضارتنا فوق مستوى إدراككم فضلا عن نقدكم ، حضارتنا لم تحرق الكتب ، بل هي التي أهدت البشرية ، الكتاب بمعناه الحديث . حضارتنا لم تعرف ولم تبتدع محاكم التفتيش .. حضارتنا هي التي علمت الدنيا حرية الفكر ، هي التي آمنت بأبدية التعدد وحتمية التمايز وشرعية الاختلاف والمخالفة .. مَنْ قبلنا قال : « خلافهم رحمة » نحن حضارة لم يتصور فقهاؤها ولا ادعوا أنهم يملكون الصواب المطلق .. بل لو سُئلت أن اختار لحضارتنا شعاراً لقلت هي حضارة : « **فيها قولان** » ..

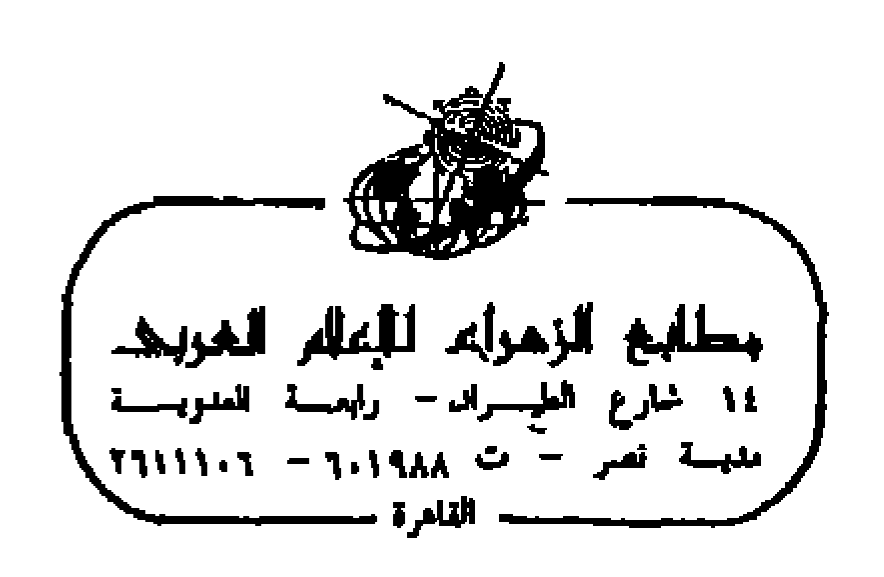
فبوءوا بنعل كليب كاملا ..

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .. إنه حليم تواب ..

الزمالك ٢٠ مايو ١٩٨٩

المحتويات

رقم الايداع : ٤٦٦٠ / ٨٩
الترقيم الدولى : ٥ ـ ٣٢ ـ ١٤٧١ ـ ٩٧٧



اولاد حارتنا

فيها قولان

... ان المسلم الذي يتعرف على الله سبحانه وتعالى من ملامح شخصية الجبلاوي ، هو الذي يستحق الاستتابة ، ويجب عليه ان يعيد تثقيف نفسه في علم التوحيد . هو مسلم ظن بالله الظنون ، ولم يقدر الله حق قدره .. « والسموات مطويات بيمينه .. سبحانه وتعالى عما يشركون » .

